

ظلال الأغصان

شعر

عبد العزيز أحمد الرفاعي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

السلسلة الشعرية

(٨)



ظلال وأغصان

شعر

عبد العزيز الرفاعي

دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ~ ١٩٩٢م

فسح هذا الكتاب من مديرية المطبوعات
برقم ٤٦١٤/م/ج تاريخ ٣/١٢/١٤١٠هـ



[illegible] ١٠٠٩٠ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
[illegible] (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١
[illegible] السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدّمة

حـيـنـمـا أزمـعـت أن أكـتـب هذا الـتـعـريـف بـهـذه الإضـمـامة الـشـعـرية .. سـألت نـفـسـي هل هذا (الشـيء) الذي كـتبـته عـبر عـمري.. مـنذ صباي الباكـر حتـى الآن ، هل هذا (الشيء) يصح أن أسمّيه شعراً حقًا ؟..

لن أتواضع فأقول : إنه ليس شعراً..

ولن أدّعي - أيضًا - أنه شعر..

ولكنه عمري..! يكفي أن أقول هذا بإيجاز حاسم.. إنه تلك اللحظات التهويمية التي حاولت فـيها أن أخلو مع مشاعـري.. وأن أنطلق مـن ربقة أيامي الغليظة إلى شيء مـن شفافـيـة غامـضة.. لا أزعـم أنهـا من شـفافـيـة الـروح.. ولا أزعم أنها من عالم مبهـم. أو أنها على صلة ما بالجن

والشياطين كما زعم العرب القدامى ، ولكنها إذا ضممت أشذاءها ، بعضها إلى بعض ، كانت تلك الحياة التي حاولت أن أحياها هينمات أقرب ما تكون إلى العمر الحقيقي.. منها إلى أي شيء آخر ، ذلك أنني وجدت نفسي في بعض هذه (القطعات) كأنما أتحدث عن عالم غريب عني ما تعوّدته ، فيما تعوّدت من جد ، أخذت به نفسي ، حتى لأحسب أحيانًا أن هذا الذي أقرأه إنما هو صنع روح أخرى ، غير هذه الروح المثقلة بهموم شتى من أعباء الحياة وجدِّها المحض .. هذه الروح التي أحملها .

وما جمعت من هذه (الكلمات) ، فقدّمته لقرّائي اليوم بعد تردد لم يطل أكثر من ثلاثين عامًا.. إنما هو شطر من ذلك العمر التهويمي الذي عشته.. وأحسب أن هذا التردد كان حريًا به أن يطول ويطول ، لولا أن حسمته بوعد جازم قطعته لجمعية الثقافة والفنون في جدة بأن أقدّم إليها هذه الإضمامة لنشرها ، أو هذا الذي كان مقرراً باديء الأمر..

أما الشطر الآخر فقد زويته وطويته ، مؤثراً أن يظل حيث هو من مخبئه.. وإن كان قد تسرّب أو تسلل منه شيء إلى الصحف أو الأصدقاء عمداً أو كرهًا ، فقد آثرت اليوم أن لا أقدمه.. أو هذا على الأقل قراري حتى هذه اللحظة.

بل لقد كنت أحمل إلى قريب عزمًا صلداً ، أن لا أنشر من هذه الكلمات - على شطريها - شيئًا ، وكنت أقول : إنني في اليوم الذي أفعل فيه ذلك ، أو شيئًا من ذلك ، أكون قد فقدت السيطرة على زمام نفسي ، أو ما أخذتها به من صرامة وحزم.

ولئلا أكون قد وقعت فيما منه خشيت ، فقد اخترت أن أسلك دربًا وسطًا ، لا يذهب إلى حد تلك الجفوة المطلقة مع كلماتي التي أحنو عليها.. ولا أكون من جهة ثانية قد شاركت الغير في ذات نفسي ، حيث تندس كلمات أخرى أنا بها ضنين.

على أن ذلك الشطر الذي أسدلت عليه الستار ، لا

يعدو أن يكون مما أَلِفَ الناس من العواطف والأحاسيس ، بل هو مما أحبّوا منذ عهد امرىء القيس إلى عهد علي محمود طه ، ولكني نظرت إلى الأمر نظرة أخرى تقول : إن معظم هذه الأشعار - إن صحّ أن أسمّيها أشعاراً - هو من زهو الصبا ، ونضارة الشباب ، وأن فيها شيئًا من نفحات ذلك العمر الغض الجديد ، وهي نفحات تحمل مع الجدّة أشياء من وثبات الشباب .. حمّلتها اليوم بعد الستين وقر وقاري ، فقلت لها : قري حيث أنت.

وكان الترتيب الطبيعي أن يأتي شعر العاطفة قبل، فهو نَفَس من الوجدان .. أي كان من الطبيعي أن تأتي الأغصان أولاً ، ثم تزحف الظلال.. ولكن أبتّ صرامة في الطبع إلاّ أن تحجب الأغصان ، وتسمح للظلال ، ويوشك أن يكون في الأمر شيء كالمستحيل. ولكن هكذا كان..! وليس في هذه السطور شيء مما يسمى (التجربة الشعرية) ، بحيث أعطيها التفاصيل التي تكفل صحة هذه التسمية ، ذلك أنها تنتفي ما دامت تنتفي صفة

الشعر والشاعر عن هذه المجموعة القليلة من النظم.. وأنا عندما أسمّيها نظمًا لا أعدو الحقيقة .. وإن كنت أحسّ أن في بعضها نبضًا من الوجدان ربما خرج بهذا البعض عن دائرة النظم شيئًا ما ، ولكنه خروج المشفق الوجل.

هل أبدو غامضًا حقًا..؟ ربما.. ولكنني على أية حال لن أقسر كلماتي على تعبيرات لا يسلس قيادها.. وإن فقدت بذلك حلاوة البلاغة حسب معايير البلاغيين.

ومع ذلك يسعني أن أقول : إنني حاولت النظم حوالي العاشرة من عمري.. ثم واصلت التجارب على فترات متباعدة ، وأعترف أنها ظلّت في معظمها مجرد تجارب لم يحالف النجاح الكثير منها ، وإن ظلّت محسوبة عليَّ سواء أردت أم لم أرد ، ورأيت من باب التسجيل فحسب أن أجمع شتات ما تيسّر لي جمعه منها ، وليكن للنقّاد نحوها ما يكون من الرأي ، فهي ظاهرة من ظواهر حياتي.. لا سبيل إلى جحدها.

وقد يبدو من الطريف حقًا .. أن أذكر لقرّاء هذه

المجموعة ـ لو وجدت قرّاء ـ شيئًا عمّن تأثّرت بهم من الشعراء أو المدارس الشعرية ، أو المناخات الشعرية.. على الأقل من أجل ذلك النبض الوجداني الذي ألمحت إليه.. أعني ذلك البعض من النبض !.

في البدء كانت صلتي بالشعر عن طريق تلك الأناشيد المدرسية ، والأشعار التي ضمّها كتاب (القراءة الرشيدة) ثم (سلّم القراءة) من بعده.. فكنت أُعنى بحفظ هذه الأناشيد والمختارات.. حقًا إن صبية المدارس يفعلون ذلك كلهم.. ولكني كنت ألقى هذه المقطوعات والأناشيد متذوّقًا معجبًا مردداً.. وكان بعض أساتذتي يشجعني على هذا الترداد والتذوّق.

ثم أخذت أتذوّق الأشعار التي تأتي في ملاحم الأدب الشعبي كعنترة ، والزير سالم ، وأبي زيد الهلالي والأميرة ذات الهمّة.. وأشعار ألف ليلة وليلة.

وفي هذه الفترة المبكّرة من العمر ومنذ السنوات الأولى من الإبتدائية ، أخذت أقرأ شعر أبي نواس .. لم

أتعمد اختياره ، فقد اقتنيت كتابًا ضخمًا يضم نوادر أبي نواس ، ومعها ديوانه ، ربما (اتمامًا للفائدة).. وكنت مهتمًا بالدرجة الأولى بالنوادر ، ثم قرأت الشعر من باب الفضول .. فقد وجدت في شعره أيضًا ما يغري بالاطلاع.

وقبل تخرّجي من الابتدائية قرأت (شوقي) ، و (الشريف الرضي) ، ثم أخذت خلال دراستي في المعهد العلمي السعودي أتصل بمناهج من تاريخ الأدب العربي ، وفيها نماذج مختارة من الشعر ، وفي هذه المدة قرأت شعراء الرسالة الزياتية، واتصلت بالشعر المهجري وبفحول شعراء العراق كالرّصافي ، والبصير ، وفحول شعراء الشام ، كأنور العطار ، وأمجد الطرابلسي ، وأعجبت إعجابًا خاصًا بعلي محمود طه ، وعمر أبو ريشة ، ثم انداحت الدائرة بقدر ما شاء الله لها أن تنداح.

وكان ما نظمت في معظمه ناجمًا عن حادثة أو فكرة ، أو مساجلة ، أو شرارة قديمة اندسّت في النفس ،

وظلّت تختمر فيها على مهل ، غير عابئة بالزمن يمرّ ، والعمر يرحل ، والجديد يخلق ، والنضرة تذوي.. يكفي أنها تملك كل ذخائر حياتها ونموها ونضرتها ووهجها.

إذن.. فقد كانت هناك في الغابة أغصان.. وكان لي فيها أشجان.. أمّا الأغصان فذوت.. وأمّا الأشجان فانطوت.. وقد رأيت أن أحجبها.. فما عاد لها اليوم مكان.. إلاّ في الأعماق ، وما كان في الأعماق قَلّما يطفو.. وقد كان للأغصان ظلال.. ولا ضير أن تطفو الظلال.. فهي أيضًا جزء من النفس وحديثها ، وهو حديث قد يعجب القرّاء وقد لا يعجبهم ، بل إنني على يقين أنها ستترك مجالاً رحبًا للناقدين.

عبدالعزيز الرّفاعي

الرياض ١٤٠٧ هـ

١ ـ في ظلال الدعاء



دُعَاء

سألت القلب عن دنياه

ما دنياك يا قلبي ؟!

فهذي ضجة الحرمان

تلذغ نارها جنبي

وهذا موكب السعداء

يزحم ركبه ركبي

لكم أزرع آمالي

فما أجني سوي جدبي

* * *

أحسّ دبيب أيامي

تسارعني إلى النحب

وشمس شبابي المحروم

قد مالت إلى الغرب

أحسّ بقسوة الهجران

تذرو ناضر الحب

أحسّ بأن أغلالاً

يضيّق قيدها رحبي

تمر مواكب النعمى

واشهد فرحة الركب

وما حظي سوى ما شاهـ

ـدتْ عيناي عن كثْب

وأسأل نفسي الحيرى

تُرى يا نفس ما ذنبي؟

لـــقـــد أشـــفـــق مـــحـــروم
بـــأن يـــلـــقـــاك يـــا ربـــي
فـــتـــبـــدو لـــهـــفـــة الحـــرمـــان
فـــي جـــنّـــاتـــك الـــغـــلـــب
فـــهـــيّئْه إلـــى نـــعـــمـــاك
وامـــســـح لـــهـــفـــة الـــســـغـــب
إذا مـــسّـــت يـــدا رحـــمـــاك
إجـــدابـــي فـــذا حـــســـبـــي

---

* مكة المكرمة ، وهذه نشرت في الستينات الهجرية.

ضَرَاعَة

أنـــــا..
ما التفــت إليــك..
يا أمْســــي..
غــذَّ الشِّــــــراع..
وراح..
لــم يَـــرْس ..
أحــــدو الصبـــاحَ
وأرفــــو من أشعتــه عمــري..

وأعــــرف أنــه يُمْســــي
الليــل مركبــة عنــدي
يواكبهـــــا
حِلْــم الصبـــاح
وطلعـــةُ الشَّمـــس
والليـــــل..
مزرعـــة للـــوردْ
موسمهـــــا
فـــي مهرجــان الهـــوى
أو زفّـــة العُـرْسِ

لا تقنطــــــوا..

إن كأســى في قرارتِهــا

بعــض الصُّبابـــة

كانــت ملأهـــا كاســى..

خلُّــوا الصُّبـابـــةَ

أحســـوها مروقـــةً

هــذي الصُّبـابـة

قـد طابـت بها نفســي

يـا رافــع البـــأسِ

عــن أيــوب معجـــزةً

هــلاّ رفعــتَ

بفضــلٍ منــك

عن بأســي؟

ولســتُ أيــوب..

لكــن من ضراعتــهِ

عنـدي أفانيـــنَ

مــن جهـــــرٍ

ومِــنْ همـــسِ

وليــس لــي صبــرُهُ

أو لــي مكانتُـــه

لكننــي مثلُـــه

مـا مِلْت لليـأسِ

إذا ســرت دعواتـــــي

فــي معارجهـــا

وجـدت عنـدكَ

ينبوعـــاً مــن القـدس

واسِ الجـــراح

فما للبــائسيـن ســوى يديـــك

أرجوهمـــــــا..

كي يرفعــا بؤســـي

اشفايلر - ألمانيا الغربية - المحرم ١٤٠٨ هـ



٢ ـ في ظلال الوجدان

بقيّة

وطـفـقـت أسـتـهـدى الـنـجـــــ
ــــوم ولا نجـوم عـلـى سـمـائـي
غـــارت وغـــرت وغـــار مـــا
قــد كـنـت أحـسـبـه رجـائـي
وظـلـلـت لأنـفـسـي مـعـي..
كــلاّ.. ولا قــلـبـي وعــائـي
يـا عـمـر مـا صـنـعـت بك الأيـــ
ـــام والأيـام واسـعـة الـفـضـاء
ضـاقـت عـلـيَّ رحـبـاتـهـا
وانـفـض سـامـرهـا إزائـي

أوَ كـيـف يـخـذلـنـي الـربـيــــ
ــع ؟ وكـيـف يمعن في الـتـنـائي؟
وتـظـلّـنـي شـمـس الخـــــــر
يـف.. وبرده ، وكلاهما جم البلاء
رفـقًا فـمـا أنـا حـمـل أكــــــ
ــشـر مـن عـدو.. فـي لـقـاء
يـا سـاعـة لـلـيـأس يـشـــــ
ــرق فـي ديـاجـيـهـا مـضـائـي
لا.. لا.. لـن أذل وأسـتـكــــــ
ــين ولـن تـنـالـي مـن بـنـائـي

أنـــا صـــامـــد بـــالـــلـــه تـــر

تـــعـــد الـــعـــواصـــف مـــن إبـــائـــي

ستـظل تـربطـني بـإيمانـي حبـــا

ئـــل فـــي بـــقـــيّـــتـــهـــا بـــقـــائـــي

---

* مدينة سهيل الأندلسية : ١٤٠٩/٨/١٧ هـ

جرّاح (*)

جـراحـيَ نـازفـاتٌ ما تـطـيـب
فـمـاذا فـي جراحـي يـا طـبـيـب؟
أجُـرحِـي غيـر جـرح النَّـاسِ أعـمـى
أصـمَّ فـلا يـرى أو يـسـتـجـيـب ؟
بنـانـك مـاهــرٌ .. أدري .. ولـكـن
بـنـان الـدَّهـر أمْهَـرُ إذْ يـصـيـب !
ولا عُـتْـبَـى فـمـا قـد كـنـتُ يـومـاً

(*) نشرت في مجلة الشعر المصرية - العدد السادس - ابريل ١٩٧٧ م ، والقصيدة نظمت سنة ١٣٩٦ هـ ، على أثر إجراء عملية استئصال المرارة في لندن.

علـــى إعنـــات دهـــري أستريـــب

لا عجـــب.. فما مـــرَّت ليـــال

علـــيَّ فلم يصاحبهـــا العجيـــب؟

جراحُ الجســمَ تضْمُـدُ في هـــدوء

فكيف يضمَّدُ الكبـــد الوجيـــب؟

تركـــت الصبـــر يسكن فـــوق كبْدي

فبعـــد مرارتـــي هـــام الغريـــب!

بَعْدَ مَا بَعْدَ المَرَارَة (*)

أبـا عـمّار سـعـيـك لا يـخـيـب
فـأنـت لـكـل ذي جـرح طـبـيـب
ولـلـمـلـهـوف أنـت ولـلـمـعـنـىّ
فـإنـك مـنـهـمـا أبـداً قـريـب
تـنـيـلـهـمـا مـن الحـسّ المجـلـى
وبـالإحـسـان مـا تـهـوى الـقـلـوب

(*) بعد اطلاع الأستاذ أنس عثمان على قصيدتي السابقة (جراح) رد عليها بهذه الأبيات وأطلعني عليها.. وقد نشر قصيدتي في ديوانه (الموانىء التي أبحرت) تحت عنوان (ما بعد المرارة) ، وقصيدته بعنوان (بعد ما بعد المرارة).

عرفتك إذا عرفت بك المعالي
يزيّن حسنها أرج وطيب
لئن أخذوا المرارة ذاك فأل
وكل المرِّ عنك بها يغيب

أنس عثمان

تائِه (*)

مهداة للصديق العزيز الأستاذ عبدالرزاق بليلة الذي أعجب بقصيدة عنوانها " السرى طال " للأستاذ فائد العمروسي..

رام جوب البيد من غير رفيقْ
رائد ضيّع أعلام الطريقْ
كلما طال به اسراؤه
ظنّ ليل البيد من غير شروق
فإذا ما طلعت من خدرها
ردّت الريح كيحموم الحريق

(*) نشرت في العدد ٦٥٤ من جريدة البلاد السعودية الصادر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٦ هـ.

فإذا الرائد ظمآن الحشا

لاهث الأنفاس كالشلو الغريق

كلما مرّت على أحلامه

صور الماء على نبع رقيق

ورأى في الأُفُق أطياف المُنى

يستحثّ السير في خطو طليق

فإذا الماء سراب كاذب

خادع كالحُلم إلاّ من بريق

* * *

نأت الواحات عن أرضي وفي

أرض بعض القوم أزهار وماءْ

وأغــــاريــــد وأغــــصـــــان روت

نـغـمـة الـطـيـر ، وأقـداح مـلاء

أرضـي الـصـحـراء شـوك واخـز

وتـهـــاويـــل وأيـــامـــي خــواء

* * *

يـــا أمـــانـــيّ إذا طـــال الـنـــوى

ومـضـى الـعـمـر وقـد عـزّ الـلـقـاء

لا تـــخـــالـــي أن روحًا نـــاقـــداً

يـرتـضـى الـزيـف ويـغـريـه الطلاء

لـيـس مَنْ عـاش بـقـلـبٍ مـثـل مَنْ

عـاش لا قـلـب لـه أو لا ضـيـاء

مُثُلي الـعـلـيـا هـي الـسـلـوى إذا

عـزّ فـي الدنـيـا عـلـى الحرِّ الـعزاء

تساؤل

سئمت المسير فلا تحفلي.. لماذا سئمت؟ ولا تسألي
أهيم كخفق ظلال الأصيل ويوشك ظلّيَ أن ينجلي
حملي عصًا ، في يمين الزمان، يَهشّ بها العمرَ، أنْ عَجِّلِ
وما شفني أن تطول الطريق،ولكنه السير في مجهل
يحيّرني ترّهات الحياة ، فكيف بربك في المُعْضل؟
تشابه يومي بأمسي القريب.. وعامي تَصَرَّم كالأول
وكم غَرَّني زهو حسن جديد، فما إنْ تعشقت حتى بلي
وقالوا: الخلود.. خلود الأديب سيحفظ ذكرك في المقبل
وبا ويحهم،وهموا..فالخلود سراب يخادع قلب الخلي!

وما الاسم بعد انطفاء الشموع طواها الردى مرهف المنجِل؟
وما المجد بعد فناء النفوس، إذا ضاق عمرعن المأمل ؟
وكم من فتى عبقري الذكاء ، بنى للخلود فلم يَملَلِ؟!
مضى.. ومضت خلفه الأمنيات، فلم يَرْثِهِ الدهر أو يحفل!
إذا مر يوم على ذكره ، خبا النور شيئًا من المشعل
وماذا وعت ذاكرات العصور عن نابغي فلم تضلل؟
لكم طمر الدهر فنَّ الأديب، وضاعت به نغمة البلبل
شدا للزهور وغنى لها ، ولولاه في الروض لم تجمل
وأضفى على البدر من قلبه،ضياء إذا غاب لم يأفل
وأعطَى الحياة دواءَ الحياة ، وجلّى الجمال لمن يجتلـــــي
فهل يذكر الزهرُ ؟ هل يذكر البدر؟ يا خيبة الشاعر المهمَل
جفته الحياة ، وعفّت عليه سنون العصور ولم تسأل

كبد ضائعة (*)

مـعـذبٌ يـســأل الأيـام عَنْ كَبـدٍ
أضـاعـهـا بـين وهـم الـوجـد والحُلُمِ
جرى مـع الـوجد أشـواطًا فـأجـهـده
وآبَ يـسـبـح فـي لَجٍّ مـن الـنـدم
والذكريات رؤى الماضـى بروعـتـه
عادت،وفي كأسها صابٌ من الألَمِ
يحبها... وهو يخشى من مرارتها
فيها العلاج، ومنها سورة السقمِ

(*) مكة المكرمة في ١٣٦٦/١٢/٢٤هـ وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة (الكتاب) المصرية التي كانت تصدر عن دار المعارف العدد الثاني - السنة الرابعة ، ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ فبراير (شباط) ١٩٤٩م.

يحسو الحباب فيغريه بنشوته

كأنه رقة تنساب في نغمِ

وفي قرارتها كدراء يجرعها

فاعجب له! ما ثنته نكسة الطعمِ

حالت لياليه بقيا روضة ذهبت

مع الربيع، وروح الروض لم يرمِ

إذا غشته هموم النفس روّحها

بعودةٍ في الرؤى للذاخر النِّعِمِ

فناشدوا الله من آوى له كبدا

ضلّت ، ليرعى حمى الأخلاق والذممِ

وأن يصون لها مهدا تُدلله

أن لا يلوَّث من أقراحها بدَمِ

تخشى جراحاتها أن تستبد بها

عواصف الشوق تذروها إلى العدم

لله يا كبداً ذابت جوانبها

لولا تعلّقها ذابت مع النِّسَمِ

* * *

أما عن الحلم في أفياء ما رسمت

له الخيالات عن مجدِ وعن قِمَمِ

لقد أصاخ لداعٍ في قرارته :

إن الحياةَ حَيَاةُ العِلْمِ والقلمِ

فراح صوب مناديه على قلل

من الغيوب ، وآفاق من السدمِ

يقول : لبيك.. لكن ما شرائطها

فيهتف السر : ألوان من الهمم

روحٌ من الصدقِ في جسم المضاء لها

عن المخذِّل أسوار من الصمم

وفي مبادىء عُلْيَا زانها بَخَلٌ

أن لا تقلّ وفيها زينة الكرم

فهكذا سارت الأفذاذ بالغةً

مدى النجوم ، ومنها وثبة الأمم

ومن هنا.. في السرى ضاعت له كبد

وغررته متاهاتٌ من الوَهم

لمنّ الدّنى مُثَلاً عُلْيَا يعيش بها

يا ضيعةَ السير في داجٍ من الظلمِ

إن العلا اليوم لا تُؤْتَى على مُثُل

ولا تجيب لنفسٍ في ذُرَى الشَّمَمِ

يا من رأى كبداً ضاعت بمهمهةٍ

جدّت وأدركها يأس على سَأَمِ

أمارة أنها رغم السهام بها

طابت أريجًا ، بما ضَمَّتْ من الضَّرَمِ

أُغْنِيَة تَتَمَنع (*)

أحباي في نفسي من الشعر غنوة
يجيش بها قلبي وتأبى على فمي
أرددها في خاطري عبقرية
لها من عزيف القاع حلو الترنم
تميل مع الأغصان في ميسانها
وتسري مع الألحان في كل منغم
لها رقة الأنسام في كل خفقة
وفيها جوى الأنداء تهفو لبرعم

(*) مكة ١٣٦٧/٣/١٠ هـ، وقد نشرت تحت عنوان (أغنية متجنية) في العدد ٦٩٣ من جريدة البلاد السعودية الصادر في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ

وفيها رفيف الزهر صحواً وناعسًا

وفيها معانى الزهر للعطر تنتمي

وفيها اصطفاق الموج يحنو لشاطىء

نديّ على أحضانه النضر يرتمي

وفيها هدير الموج يدفق صاخبًا

وفيها رؤى الأشباح آفاق عيلم

* * *

بها هجعة الصحراء عطشى تشوقها

مُنى القطر أو طيف السحاب المخيِّم

بها نغمة الينبوع يجري بروحه

حنينًا إلى الأعشاب يشكو ويحتمي

بها فرحة العصفور هيمان صادحًا

لإلف يناجيه بتحنان مغرم

بها لهفة المشتاق يهتاجه النوى

يعربد في جنبيه وجد المتيم

بها رِقبة السهران يسْهد ليله

غريبًا شكى نأيا صريخًا لأنجم

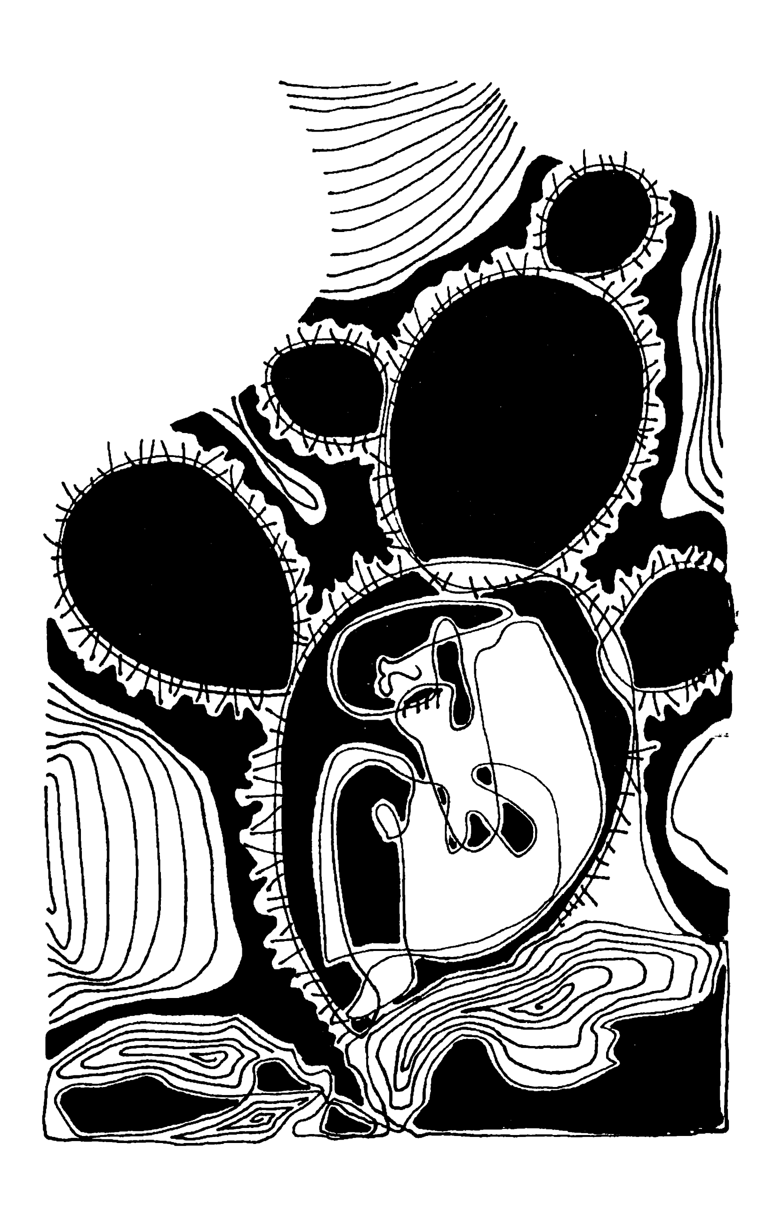
بها صبوة المفتون يحلم بالهوى

رفيقًا إلى هيفاء ذات تنعم

يصورها حوراء ما مرّ طيفها

بريشة ذي شعر ولا شعر مرقم

أحس لـهـا كـالـشـهـد نكـهـة قـبـلـة
تـغـردُ مـن صَـهـبـاء أعـذب مـبـسـم
وأنـقـلـهـا مـن عـالـم الـروح نـغـمـة
إلـى عـالـم الحـسـن الـرفـيـف المنمنم
رؤى حـالـم مـرّت بـأعـطـاف كـاعـب
وسـحـر عـلـى ثـغـر وفـتـنـة مـعـصـم
كـأني بـهـا مـعـنـى مـن الـسـحـر هـائـم
بـصـدر عـمـيـق الـسـر ، جـدّ مـطـلـسـم
كـأنـي بـهـا قـد صِـدتُـهـا أبـديـة
شـكـولا مـن الألحـان تـنـسـاب في دمـي
أحـاول أغـريـهـا لـتـحـيـا بـعـالمـي
فـتـأبـى عـلـى طـرسـي وتـأبـى عـلـى فـمـي



٣ - في ظلال الطبيعة

فراشة (*)

تراقصتْ في الضياء الثر وانعطفت
نحو الغدير وحَيَّتْ نغمةَ الشادي
فراشة لبست ثوب الربيع وقد
راحت ، تدل به في تيهها البادي
ثوبًا تتوق له الحسناء تحسدها
عليه لو حفلت يومًا بحساد
شتان للحسن.. أيدي الناس تصنعه
وللجمال حفيّا جد منقاد

(*) نشرت في أوائل الستينات الهجرية.

حديقة في جناح رق وانسكبت

فيه الأشعة من طيف السنا الهادي

* * *

مضت إلى الزهر تشكو الزهر غلتها

وترتوي قُبَلاً من ثغره النادي

زهر إلى الزهر ما أندى تعاطفه

هزّ الطيور فهزّت كل مياد

روحي وروحك في معناهما شبه

تهوى الزهور ، وأهواها على النادي

وأعشق الحسن رفرافًا على نضر

من الخمائل بين الجدول الغادي

وفي الروابي إذا ما اخضوضرت وزكت

أهوى ترفعها والرفرف البادي

وفي الذرى شامخات الأنف صامدة

على الحوادث في كر المدى العادي

وفي السهول التي أرخت غلائلها

أهوى التواضع ما أسماه في الوادي

أهوى الضياء كما تهوينه حفلا

فترتمين بشوق المصحر الصادي

حتى تذوبي وهذا القلب أحسبه

جم الفداء ، فيا للذائب الفادي

كومّو (*)

كنت في زيارة خاطفة لبعض مدن إيطاليا ، ووقفت على بحيرة كومو ذات المناظر الأخّاذة ، فتذكّرت قصيدة للشاعر المبدع علي محمود طه عنها ، تُعَدّ من أروع قصائده.. مطلعها:

تلك كومو مدى النظرْ   هيّىء اللحن والوترْ

فجاءت أبياتي هذه على غرارها.. استجابة لاقتراح من صديقين كانا معي :

متع الفكر والنظرْ
إنها فرصة العُمُرْ
سأل الحسنُ نفسَه
بعد أن واصل السفر

(*) كومو - إيطاليا - ٢٢ شعبان ١٤٠٢ هـ.

بعد أن وزّع الجمـ

ـال على الأرض والشجر

أين .. ما أين أنتحي

أيَّ جناتي المقر ؟

نطق الحسن نفسه :

(تلك كومو مدى النظر)

أترى الماء عندها

أخضر اللون ينهمر؟

لونّ اللوحةَ الإلـ

ـهُ ، فهل لونَّ المطر ؟

كل مجراه سندس

كل أمواهه زهر!

يــا صــديــقــيَّ لــيــتــمــا

تمــــنــــحــــانــــيَ الــــعــــذر

خــاطــر الــشــعــر مــفــحــم

خــاشــع الــطــرف مــنــبــهــر

فــاطــلــب الــشــعــر قــمــة

قــمــة الــشــعــر فــي الحــجــر

وعــلــى رفــرف الــشــطــو

ط ، وفــي صــفــحــة الــنــهــر

وعـــلـــى رائـــع الـــورو

د ، عــلــى الــشــط تــنــتــشــر

* * *

لــو تـــخـــيّلـــتُ ســـاحـــراً

يـــســـحـــر الـــنـــاس بـــالـــصـــور

كـــان أبـــهـــى الـــذي أرى

مـــن جـــمـــيـــع الـــذي ســـحـــر

إن كـــومـــو قـــصـــيـــدة

لـــم يـــقـــل مـــثـــلـــهـــا بـــشـــر

صَبَارَة (*)

في مطلع حياتي كانت بداري الصغيرة شجرة (صبارة) ، ليس ثَمّة غيرها.. كنت أسقيها بعض أشجان حياتي ، وكانت تسقيني بعض معاني صبرها على الجفاف.

كان بيني وبينها حوار.. ذكرت فيه أنها تجد من معاني الرعاية ما لا تجده أخواتها في قناني الجبال..

هذا بعض ما قلت لها.. أما ما قالته لي هي.. فكثير لا يسعه شعر..

لا تـأبـهـي بـالحـادثـات ولا تـذلـي لـلـزمـان
صـولـي بـسـيـفـك وارهـفـي حـد الـسـنـان
جرّي القتاد على الحوادث وافرغي مُرَّ القناني

(*) ١٣٦٩/١/٧هـ ،نشرت في البلاد السعودية في ١٥ من المحرم ١٣٦٩هـ.

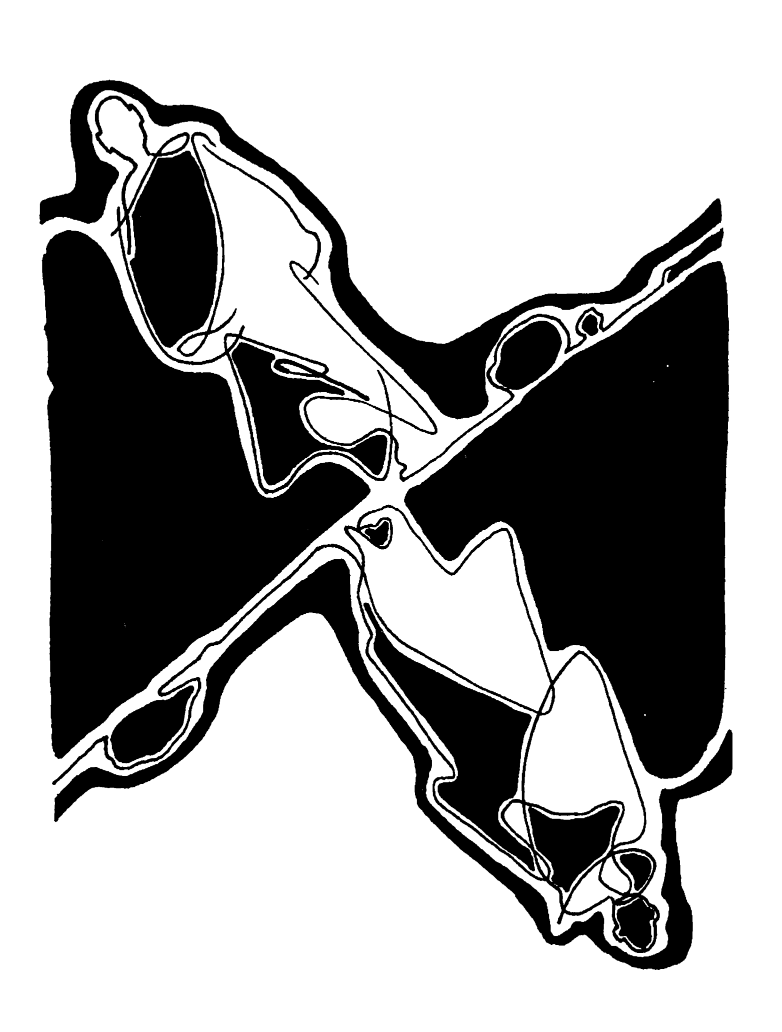
وإذا تضن السحب بالنزر اليسير من الأمان
واخشوشنت منك الجذور على عروق من صوان
والهم الصخر الأصم ، وهل درى معنى الحنان؟
وجفتك أنفاس الربيع ، وكان مخضوب البنان
والطير مرّ على قفارك.. مرّ محصور البيان
إلاّ الغراب فقد يطل عليك مشؤوم اللسان
لا سامرا إلا عواء الذئب في صمّ القنان
والثعلب الخدّاع يزحف حاذراً كالأفعوان
والبدر مشغول الفؤاد بحب أتراب حسان
والنجم.. إن النجم تعشقه.. ، فهنّ له رواني
ويخفن أن يهوى على الأرض ـ الجميل من الغواني
والشوك مشدود الوثاق على الثرى الظمآن عاني

وإذا بحثتِ على الجديب عن الظليل من الأمان
وعن الحنان الثر.. عن خضر المرابع والمغاني...
فرمتك نائحة الرياح بكل سوداء المعاني
حملت سموم النار طلقاء الأزمة والعنان
وسمعت من بين الفحيح نعيّها بيض الأماني
لا تأبهي.. كوني كصلد الصخر ثابتة الجنان
كالريح تهزأ بالربا.. بالدوح ذات العنفوان
كالقفر مرّ به الزمان فما درى خطو الزمان
بل ابسمي.. نعم ابسمي.. واخفي الشقاء عن العيان
وعلى ممر الدهر كوني في بهي الطيلسان
لوذي بصبرك وارقبي طيب المجاني
أنت العزاء لقلبي الملتاع في حر الدخان

إن المـرارة فـي كيـانـك ، وهـي تعـبـث فـي كيـانـي

* * *

الـصـبـر مـن شِيَم الـكـرام ، إذا تـنـا ءى عـن جبـان
والمـعـدن الـصـافـي الأصـيـل يـظـل مرمـوق المـكـان



٤ - في ظلال المناسبات

تحيّة ندْوة العُلمَاء (*)

أهـنـا مـوطـنـي ؟ أهـذي بـلادي؟
أنـا لا أشـتـكـي اغـتـراب الـضّادِ
لغتـي مـوطنـي .. وديـنـي مـلاذي
هــذه عــدتــي ، وهــذا عــتــادي
أيــن يـمــمـت .. فـالمـودة إنـــي
مـن وشـيـجـيـهـمـا عـلـى مـيـعـاد

(*) ألقيت هذه القصيدة يوم الجمعة في افتتاح ندوة الأدب الإسلامي في جامعة دار العلوم - ندوة العلماء - الهند ١٣ جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ وفيها تحية للعلاّمة الكبير السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رئيس جماعة ندوة العلماء.

عترتي .. عترة القران.. ولكنْ

أمحض المسلمين صفوَ ودادي

لا قرآنٌ بغير حرف مبين

عربي يأتي شديد العماد

والذي يبتغي بغير قران

لغة العُرب ، نافخ في الرماد

وسبيل الرشاد أن تجمع الحسنـ

ـين يا حبذا سبيل الرشاد

وسبيل الرشاد مجمع علم

جُمع الفضل كله في النادي

ندوة للعلوم قامت بلكنو

فهي نِعْم المنار للمرتاد

ضلّ من يحسب البناء صروحًا
شامخات تأتي عليها العوادي
إن من يَبْتني النفوس لبانٍ
لم تطاوله في البناء الأيادي
عبقري يبني بكل فؤاد
عبقريًا يأتي زكيّ الفؤاد
والذي يَبْتني الصروح مشيدٌ
إنما يَبْتني النفوس الهادي
وبناء الصروح سهل لبان
وبناء النفوس صعب القياد
ولكم رام للسماء صعوداً
مثل فرعون ، جاهل أو عاد

سخـرت مـنـهـم الجـبـال ويـكـفـي

لـــغَرور ســـخـــريـــة الأوتـــاد

أيـهـا المحـسـن الـبـنـا ء .. عـلـيٌّ

أنـت تُعـلـي الـبـنـا ء لـلـرواد

وتـنـيـر الـقـلـوب عِـلـمًا وفـهـمًا

لـــكـــتـــاب ، وسُنَّة ، وســـداد

لـبـناتُ الـنـفـوس تـعـطـي شعـاعًا

سـرمـديًا يـبـقـى عـلـى الآمـاد

بـارك الـلـه فـي عـطـائـك مـحـضًا

لـعـبـاد ، تـريـد ربّ الـعـبـاد

لم أكن قبل .. شاعراً منبريًا

كيف أصبحت شاعر الانشاد ؟

إنه علمك الذي فجّر الصخـ

ـر، فهل كنت صخرة في الوادي؟

يَا عيّد (*)

يـا عيـــــدُ
فـي قلبـــي..
وفـي أغـوار نفسـي
في الحشاشـة من ضميـري
لوْعَـــةٌ حَـرَّى
تُمـزّقنـــي!
وتغتال البقيـة من سروري
يـا عيـــد

(*) هذه القصيدة نظمت في مناسبة مرور عيد الفطر سنة ١٣٧٧ هـ، وكانت الجزائر آنذاك لا تزال تناضل لنيل استقلالها.

معـذرةً إليــك

إذ نبوتُ

وإن تبلّـد كـلُّ حِسّـي

رغم موكبك الكبير

إن المســرّةَ لا تلامـسُ

أيُّ قيـدٍ من شعـوري

إنــي أرى

صــور المباهــج كالرُّؤَى

غامــت..

علــى عينــيَّ

شائهـة المسيــر

يا عيــد

والأطفـال ترفل في الحريـر
وأصيـخ...
للطبـل المـدوّي
والهديـر
لكننـي
يا عيـد أسمعه صـدىً
مـرّ الصريـر
مُـرّاً مرارة لوعتـي
تلك التـي
اغتالـت سـروري
يا عيـد

أيــن مســرّتــي؟

لا.. أنت أُدْرَى

بالمواجع في ضميــري

يا عيـــدُ

إن طفتَ القُــرى

أوْجُلْتَ ما بين المدائــن

فاســألْ

وقُــلْ لي ما مصيــري؟

مـا حـال إخوانــي؟

وخِلاّنــي وأهلــي؟

وبَني العمومة من عشيري؟

ما حالهـــم يا عيــدُ..؟

في الوطن السليـبْ

في فلسطيـن العزيــزة

واللاجئـــــون؟

الساكــنون هناك

في تلك الخيام البالـيـهْ

الرابضــون علــى العراء

النائمـون على الخـواء

ما حالهـــم ؟

هل ترفل الأطفال في الحُلل الحرير؟

هل يحتفـــون؟

كما احتفلنا - في حبـور؟

يا عيـــدُ

أي مواجع حَـرَّى

تنزّت فــي الصـدور

البشْـــرُ!

إن البِشْـــرَ

لا يســري

إلى الخِيَـمِ الحزينةِ كالقبـورِ

* * *

يا عيـــدُ

ما حال الأحبـة من عشيري؟

ما حالهـــم؟

يا عيــدُ في أرض الجزائــرْ

هل ترفل الأطفال في حُلل الحريرِ

وأيُّ أطفـالٍ يتامـــى

يا عيــدُ في أرض الجزائــرْ

في كل ميدانٍ مجـازرْ

والدمع والدم والعويـــلْ

في كل دار في الجزائــرْ

في ذلك الوطن النبيـلْ

* * *

يا عيــدُ... لا

إن المسـّرّة لا تلامـس
أيَّ قيـد من شعـوري
ما دام خِلاّنـي وأهلـي
في فلسطيـن السليبـة والجزائـرْ
لا يعرفون العيـد إلا وَهْمَ عابـرْ

* * *

يا عيـدُ
معـذرةً إليـكَ
إذا عبـرتَ على حياتـي
كالحـا.. جَهْـمَ العبـور
لكننـى

لـن أجتويـك

سنلتقـي

يا عيـدُ... في يوم قريبِ

وسأحتفـي

وستحتفـي كل الدنـا

في يـوم عزّتنـا

إذا رجعـت فلسطيـن العزيزة

وظَـلّل العـزّ الجزائـرْ

وانجـاب عن بُلْدانِنـا

نيـرُ الغريبِ

ولسوف أعلن عـن ســروري

يا عيـــدُ

والأطفـال ترفل في الحريـرِ

في موطنـــي

في كل شبـر منه

من وطنـي الكبيـرِ

وأصيـــخ

للطبـل المدوّي والهديـرِ

جــدة - ١٣٧٧/٨/٧ هـ

كلمة .. إلى الجزائر (*)

قبل أن تصدق المنى بالبشائرْ

حملتني إليكِ حلو الخواطرْ

خطرت بي.. إلى ذراك فما أرو

ع ما جنّح الخيال المسافر

مثّلت لي، من قمة المجد أعلى

ما تناهت إليه أحلام شاعر

فإذا فوق ذروة المجد أخرى

وعلى قمة السماك الجزائر

* * *

(*) أُلقيت في مؤتمر الأدباء بالجزائر عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

ذكّرتني.. ولم أكن غير ذاكر

إنها في الجهاد كبرى الثوائر

سكبت في النضال بحر دماء

رنقته.. فكان أطيب هادر

فإذا ثورة الدماء نعيم

يتصبّى، حتى الملاح الحرائر

" الجميلات " والكماة سواء

صنع الكل بالفداء الجزائر

* * *

أضلعي.. ملؤها التحايا العواطر

من بلاد تكن خير " المشاعر "

حمّلوني الهوى وما ظننت ضميري
حاملاً كل ما حوته الضمائر
ولئن جلل الأسى كلماتي
فالمصاب العظيم ملء السرائر
وعزائي بأن فيصل قد كا
د يلاقي قبل الرحيل الجزائر (١)

* * *

يا حماة العرين كبرى الكبائر
أن تحوز الكلاب كهف القساور
في فلسطين ، ما نسينا بقايا
من دماء تئن تحت المقابر

---

(١) صادف قبيل المؤتمر استشهاد الملك فيصل رحمه الله.

قـد سـخـوتم هـنـا بمـلـيـون ثـاوٍ
فـاجـعـلـوهـم هـنـاك مـلـيـون عـابـر
سـدّدوا فـوهـة المـدافـع وامـحـوا
صدأ الـريـث.. وازحـفـي يـا جـزائـر
تـعـب الـيـأس واسـتـراح المُحـاور
خـدعـة أدمـنـت عـلـيـهـا المَحـاورِ
وهـبـت لـلـعـدو بـحـبـوحـة الـعـمـ
ـر وجـادت لـنـا بـأسـخى الخـسـائـر
عـظـة لـو تمـرّ بـالحـجـر الـصـ
ـلـد مـراراً لـفـجـر الأرض ثـائـر
لِمَ لا نـضـرب الـتـردّد بـالحـز
م ونمـضـي عـلـى طـريـق الجـزائـر ؟

تحيّة تونس (*)

شعرتان اثنتان في اللمة السـو
داء قد جرّتا عليَّ الوبالا

قالتا تهمسان لليل سرا:
نحن ركب الصباح حطّ الرحالا

قل لمن بيّض الليالي وعوداً
مثقلاتٍ ألقى إليها الحبالا

أسفر الفجر أيها العاشق الليـ
ـل فهلاّ نفيتَ عنك الضلالا

ضرب الشيب موعداً أزليًّا
عند فوديك والليالي حبالى

(*) ألقيت في مؤتمر الأدباء الذي انعقد في تونس سنة ١٣٩٥ هـ.

قَالَتَا لي : عهد النسيب تولّى
وأطلّ المشيب يضفي الجلالا

إن عهد الشباب ، قد لملم الحـ
ـب وحلو الهوى ، ولمّ الوصالا

لم يعد في يديك إلا الأماني
والوعود التي تمادت مطالا

* * *

قد رضعتُ الهوى بمكة طفلا
في حمى المسجد الحرام حلالا

حيث تهوى القلوب يحدو
بها الشوق، وحرالجوى إليه تعالى

وتـغـنّيـــتُ بـالجـمـال مـذابـًا

فـي سراة الحجاز يزكي الخيـالا

يكمن الحسن حيثما تنظر العيـ

ـن ، يمينًا على الذرى أو شمالا

وربى نجد إذ عشقت الخزامى ،

ونـشـار الـربـيـع يـكـسـو الـتـلالا

تـربـة تـبـعـث الخـيـال وتـهـــ

ـدي ريِّق الشعر ، رائعًا سلسالا

كم أمالت عرائس الشعر للشـ

ـعر ـ وكم شاعرٍ تغنّى فمالا

حمّلتني الرياض باقات حـ

ـب خفت أن لا أطيقهن احتمالا

جئت أهدي إليكمُ من جناها

بعض أشواقها تحنّ احتفالا

يا رعى الله ما بتونس من خيـ

ـر وأسماه أن تنمّي الرجالا

بلد تنبت البطولات والمجـ

ـد وترعى الأمجاد والأبطالا

ورثت مجد عقبة الخير من

قبل ، وراحت تورث الأجيالا

وابن خلدون قمة الفكر منكم

يا لها قمة أبت أن تنالا

وأبو القاسم الذي فجّر الشعر

ينابيع لا تكفّ انهمالا

إنـه الـيـم فـي الـرخـاء رقـيـق

فـإذا اشـتـد كـسـر الأغـلالا

أعـظـم المجـد لـلـعـروبـة مـجـد

يـبـتـني فـتـيـة تجـيـد الـنـزالا

تمسح العـار ، حـينـما تـضـع الـغـا

ر ، وتمـحـو عـن الـنـهـار الظلالا

* * *

نـحـن فـي المشـرق المـدمـى اشـتـيـا

ق ، لاتحـاد يـضـم آلاً فـآلا

أشـرقـت مـن هـنـا الـبـواكـيـر مـنــ

ـه فـارقـب الـبـدر إن رأيـت الهـلالا

يـجـمـع المـشـرقـين ديـن حـنـيـف
لـم يـزل بـيـنـنـا المـلاذ المـآلا

لـو لـزمـنـا صـراطه لاسـتـقـمـنـا
وجـعـلـنـاه لـلـعـدى زلـــــزالا

جـمّع الـديـن تـائـهـين عـلـيـنـا
وافـتـرقـنـا ، عـن ديـنـنـا ضـلالا

مـوعـد الملتقـى هنـاك عـلى الــــ
ـــقـدس صـفـوفًا تـروع الأهـوالا

* * *

أنطـقـتـني بـلادكـم طـيـع الـشـعـــ
ـــر وقـد كـنـت لا أحـيـر مـقـالا

قد هجرت القريض قبل فلمْا
جئتها رفت القوافي انثيالا

بلد كل ما به يأسر القلـ
ـب ويسرى فيأسر الأوصالا

كيف أسلو إذا بدت لي سلوى
عن جمال هنا يفوق الجمالا

إنني ها هنا أضعت فؤادي
فارجعوه.. وهل طلبت المحالا؟

مِنْ يوميّات مئذنة مكيّة (*)

هذا اليــوم ثلاثـــاءْ
اليوم الأول لمحــرَّمْ
من عام هجـري بـازغْ
لختـام القرن الرابــعْ
بعــد العشــرْ
الوقت هدوء ورواءْ
تتلاقى العتمة بالأضواءْ
كتلاقــي الأشــواقْ

(*) نظمت عقب أحداث الحرم المكي الشريف سنة ١٤٠٠ هـ ، وقد صدرت في كتيب صغير.

والدنيا صمتْ..!

* * *

الوقت.. الفجرْ
بل .. بعد صلاة الفجرْ
للتوِّ .. تعطرت الأجواءْ
بصلاة الفجرْ
عجبًا.. ما هذا الصوت ..؟
أخطيب في غير الجمعة..؟
في غير صلاة العيد ؟
ما الخطب؟
لكأني أحسب هذا الصوتْ
يرتب صفًا للحربْ..!
أتكون الحرب بحَرَمِ اللهْ؟

وهو السلـم المطلـقْ
ملكـوت دعـاء وصـــلاهْ!
عجبـا.. بل هذا أقصىٰ عجبـي!
وصرخــتْ..
يا أخواتـــي..!
لكأنـي أسمع صوت دبيبْ
تصَّعد نحوي خطواتُ مريبْ
وأنا.. لا يكذب سمعـي
فأنا.. كُلِّي آذانْ
منذ ارتفع عليَّ أذانْ..

* * *

عجبـًا .. ما هذا الصوتْ ..؟
مَـنْ هذا الصاعد هذا الوقتْ..؟

أتـراه يريد أذانا ؟
أأذان فوق أذانْ.. ؟!
للتوِّ تعطرت الأجـواءْ
بنداء الفجـرْ

* * *

وصـــــرختْ..
يا أخواتـــي..!
هذا الواغل يصَّعـدْ..
يمشي مشِيــة أهـوجْ..
لكأني أَسمع خشخشة سلاحْ
يا للــــروع !
أفتسمعـنْ؟
النــارَ .. النـــارَ

طلقات النار تهـزّ المسجدْ
إني لأُكَذِّب عينـيَّ
وأُكَذِّب أُذُنـــيَّ
لكني .. كلِّـي أذانْ
منذ ارتفع عليَّ أذانْ

* * *

هذا الواغل .. يصَّعـدْ
وَيْ ! يا أخواتـي
وصل الآن إلى الشرفــةْ
رجل .. يا للهول مدجَّـجْ
لم أعرفــهْ
في زِيٍّ مُرهــبْ
في سمت مُرعــب..!

لا أحسب في نيّته ذكر الله..!
أو أن يدعُوَ لصلاهْ

* * *

لم أتوسَّم فيه الخيرْ
مِنْ أين يجيء الخيرْ..؟
في رجل يتأبطْ
أدوات الموت..؟!
ولِمَنْ ..؟ .. لدماء حرّمها اللهْ
في شهر اللـه
في حرم اللـه
اللـه اكبـر
اللـه اكبـر

* * *

وصرخـــتْ ..
وَيْ .. يا أخواتـــي
هذي طلقات النار تُلَعْلِــعْ
مِـنْ شرفتـــيَ العليا
مِـنْ حيث يجيء نداء اللـهْ
لصـلاة اللــهْ
ونـداء اللـه سلام وفـلاحْ..!
وَيْ .. يا أخواتـــي
أيكون محل نـداء اللـــهْ
جعجعـة سـلاح.. ؟!

* * *

يا للهـــول.. !؟
القتل يدور بكل مكـانْ!

ودماء تُسفك في الأركانْ !
ودمٌ .. مُهْــراقْ
في كل رُواقْ
حتـى النسوة لم يُرْحمنْ
باسم المهديّ تقتَّل نسوهْ ؟
يا للقســوهْ.. !
اللــه اكبــرْ
اللــه اكبــرْ

* * *

حدّثنــي
في ذات مساءْ
كان البدر به مؤتلـقَ النورْ
هذا العَلَمُ الشامخ في الأجـواءْ

الراوية الثقة .. قبيسْ :
عــن خندمــهْ..
عن جبل النــورْ :
ان المسجد كان حرامًا
لا تُسفْك فيه دماءْ
عبـر الأجيــالْ
إلاّ أن يأتيَه لمامَــا
بعض الأنــذالْ
مِمَّن لا يحترم ذمامَــا..
هذا بعض حديث الجبل الشامخْ..
وحديث الأجبـــالْ
صلـد.. راسـخْ

* * *

حدّثنـي الرَّاويَـة قبيسْ :
أن مكان البيت المُكرَمْ
كان محل التقديسْ
يُعمر بصلاة ودعـاء وطـوافْ
حتى في فتنـة قرمـطْ
حتى في طغيان الطوفـانْ
حتى في عـدوان الحَجَّـاحْ
ما كان ليخلـوَ قـطّ
مِـنْ عُبّـاد أو حُجـاجْ

* * *

وبعينيَّ رأيت القومْ
يلتفّ بهمْ بالذكر مطافْ
ويلفّ بهم في الماء العومْ

أو يتخذون الأخشاب زوارقْ
والأعـواد المجـذافْ
اللـه اكبـــرْ
اللـه اكبـــرْ

* * *

ويحين أوان الظهـــرْ
ما ارتفـع أذانْ..!
والعصـر يحينْ
ما ارتفع أذانْ.. !
فوق سماء البيـتْ
ويطلُّ على كتف قبيسْ
شفق شاحـــبْ .. !
تتجمع غيمـاتْ
وتوصـوص نجمـــاتْ

تسَّاءل في رعبْ .. !
ما الخطبْ ؟

* * *

يا ربّ ..!
هل ألقى بشهاب ثاقبْ؟ ؟
لكنَّ الأرضَ سلامْ
والناسَ .. صلاة وقيامْ
والبيتَ .. حرامْ
والشهرَ حرامْ
ودماء الناس .. حرامْ

* * *

تتجمـع غيمـــاتْ..
وتوصوص نجمـــاتْ
وقبيــسُ .. حزيــنْ
والشفق .. حزيــنْ
والغيـم .. حزيـــنْ
وأنـــا..
أبكــي .. أبكــي .. أبكــي ..!
والقلـب .. حزيـــن !؟

تحيّة عُمانَ (*)

تحدّث خاطري وأبى البَيانُ
فهل أنتِ المعينةُ يا عُمَانُ؟
ومالِيَ كلما رِضْتُ القوافي
تَأَبَّتْ واستبدَّ بها الحِرانُ؟
وصَدَّتْ مثلما صَدَّ الغواني
ألاَ حَسْبِي وحسبك يا زمانُ!

(*) هذه الأبيات جاءت أوائلها بينما كنت في الطائرة يوم الأحد ١٨/٥/١٤١٠هـ في الطريق إلى عمان ضمن وفد المكرمين بوسام مجلس التعاون الخليجي من المملكة ثم جاء ختامها يوم الثلاثاء ٢٠/٥/١٤١٠هـ فجراً ورجوت أن يتسع الوقت لإلقائها ذلك اليوم في حفل التكريم ولكنه لم يتسع.

إذا هجر الحسانُ وعِفْنَ شَيْبي

فكيف تُصَدُّ ألحانُ حِسانُ

فلو أَبْقَتْ على التِّذْكَارِ شَيْئًا

يعاودُني إذا جَدَّ الرِّهانُ

إذنْ لرجوتُ في الميدان شِعري

لِيَنْفُثَ بعض ما حَمَل الجَنانُ

فهذا محفلٌ فَذٌّ تَبَارتْ

به الأفكارُ وانطلقَ البَيَانُ

رأى القممُ الشوامخُ في ذراها

مكانَ الفكر فانفسحَ المكانُ

رأَوْا أن التعاونَ كان فِكْرًا

فشادُوا صَرْحَهُ فَعَلَى وصانوا

إذا اقــتــرنــت عــزائــمُ عــبــقــريٍّ
بـــرأي مـــفـــكـــرٍ نجـــحَ الـــقِرانُ

عُـمـانُ وأيُّ شَوْقٍ فـي ضـمـيـري
يُلـحّ فـلا يـطـاوعـه الـلـسـانُ

هُمُ وصـفـوكِ رائـعـةً فـلـمّا
رأيـتُك صـدّقَ الـوصـفَ الـعـيـانُ

كـأن الـيُمْنَ يُمْنَكِ حـين جـاءت
إلـى سـاحـاتـك الـقِمَمُ الـرِّزانُ

وجـاء الـنـابـغـون وَجَاءَ عَجْزِي
فـهـل يـجري إذا ظـلـع الحـصـانُ؟

أُهَنِّىءُ رفْقَتـي فـلـهـمْ مـكـانُ
سـيـعـلـو عـنـد أُمَّتِهـم مُصـانُ

٥ - في ظِلالِ الصَّداقة

أبا تُرابٍ

تحية.. بل رد تحية إلى الأخ الأديب.. سفير الأدب القديم إلى الأدب الجديد الأستاذ الشيخ العلاّمة أبي تراب الظاهري :

أبـــــا تـــــراب وإنـــــي
أرى تـــرابـــك طـــيـــبـــا
أراك صـــنـــو الـــثـــريـــا
لا لـــلـــثـــرى مـــنـــســـوبًا
ســـمـــا بـــنـــفـــســـك عـــلـــم
والـــعـــلـــم لـــلـــنـــفـــس طـــوبـــى

وواكب العلم خلق

فجئت حقًا أديبا

وأنت عندي طراز

ولّى فأمسى غريبا

بعثته بعد لأيٍ

بعثًا جميلاً حبيبا

أكبرت أنك تغدو

على الطريق دؤوبا

تمضي لوحدك فيه

والناس تمضي دروبا

أعــــدت مـــجـــداً تـــلـــيـــداً

قـــــــد ظُنَّ ألاّ يـــــــؤوبـــــــا

فـــــآب عـــــنـــدك ســـــهـــلاً

مـــيـــسَّراً مـــحـــبـــوبـــا

٢٢/١١/١٣٧٩ هـ

لَيْلَةٌ مِنَ العُمرِ (*)

إلى (اثنينية الأستاذ عبدالمقصود خوجه)

أنجمٌ من سمائها تتنادى
مشرقات تسدي إلينا السدادا
كالمجرات ، يأتلقن جميعًا
كالمجرات ، يأتقلن.. فرادى
كل نجم ينافس النجم نوراً
وبهاءً ، وروعة ، وامتداد
جمع الود بينهم بالعشيا
ت ، ولا يُنقص النهارُ الودادا

* * *

(*) ألقيت في حفلة تكريمية أقيمت لي باثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجه ، ونشرت بالمجلة العربية العدد ٧٠ شهر ذي القعدة ١٤٠٣ هـ

دعـوة الـود ، قـد بـدت مـن كـريم

وأديـــب ، تـــورَّثَ الأمـــجـــادا
عـن أب نـابـغ.. ولـيـس عـجـيـبًا

عـنـدمـا يـتـبـع الـطـريـف الـتـلادا
وأشـد الـضـيـاع ، أن يُـنـبـذ المـا

ضـي ، فـنـنـسى الآبـاء والأجـدادا
رائـد أنـت قـد نـدبـت المـعـالـي

عـنـدمـا جـئـت تـكـرم الـروادا
كـل اثـنـين كـوكـب يـتـجـلـى

فـي نـديٍّ ، يـجـمّع الأنـدادا
* * *

قد تخيّرتَ ، بل أجدت اختيارا
كلما شمت عبقريًا تهادى
ولقد يخطئ الدليل ويكبو
مثلما تُعثِرُ الحصاةُ الجوادا
مرةً.. عندما تخيّرتَ شخصي
فتعجبتُ أن أكون المرادا
وتصاممتُ ، ما أصدق سمعي
أتراني ، وليس غيري ، المنادى
صدقوني.. فما أصدِّق حتى
ناظري.. أن يكون غش وزادا

نقلتني الأطياف في الحلم يا عـــ
ـين . فخلّ الأطياف.. خلّ الرقادا
هكـذا تحلـم القـلـوب.. وتـهـفـو
وفـؤادي .. مـا كـان إلاّ فـؤادا

* * *

قد تساءلتُ .. من أكون ؟ وماذا ؟
والـسـؤالات ، حُوّمٌ .. تـتـمـادى
مـا أنـا فـي عـدادكـم.. غـيـر قـلـب
خـلـب الحـرفُ لـبَّه فـانـقـادا
جئـت هـذا المـسـاء أطلب عـلـمًا
مثـلـمـا يـطلـب الـصـديُّ ابـتـرادا

فينابيعكم تهدر بالثر من الفـــ
ـــكر ، وتسقي العطاش والورّادا
كل نبع يفيض ، نثراً وشعراً
كم سقى نبعُه الرويُّ البلادا
أكْرِموني ، فقوِّموني بنقد
أنا أشتاق أسمع النقادا

* * *

هذه ليلة من العمر بيضا
ء ازدهى ليلُها ، وألقى السوادا
فالعشيات قد تضمخن بالور
د ، فجاءت أفوافُه تتنادى

وزكـا زهـرُهـا ، وقـد جـاء صَفْواً

خلع الشـوك ، جانـبًا ، والقـتادا

* * *

أتــريــدون أن نــعــيــش صــفــاء

لـيس يشكـو إلى الليالى النفادا

امزجوا فـكركم بفـيض من الحـــ

ـــب ، لنحيا به .. فلا نتعادى

واجعلوا نقدكم من النور أصفى

لــيــس نــاراً ، تــؤرِّث الأحــقــادا

أجـدر الـــنــاس بــالمحــبــة نــاس

عشـقوا الحرف ، صفـحةً ومدادا

تَحِيّةٌ وَتَهْنِئَة (*)

« سراج عمر مفتــي »

إلى زميل الصبا وصديق العمر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بمناسبة يوم تكريمه في اثنينية الشيخ عبدالمقصود خوجة.. وقد نشرت في جريدة الندوة في ١٤٠٣/٨/٦ هـ.

عبـدالعـزيز تـهـانـئـا مـن مـخـلـص
تـهدى لـشخـصك عـن أخيـك تعـبرُ
لـلـفـرحـة الـكـبـرى لمـا قـد نـلـتـه
مـن ذروة عـلـيـا بمـثـلـك تـفـخـر
لا غـرو ان كُرِّمـت مـن أدبـائـنـا
فـي نـدوة أمـسـيـة.. تـتـكـرر

(*) الأستاذ الشاعر سراج عمر مفتي ، من زملاء الدراسة في الابتدائية ، وفي المعهد العلمي السعودي ، وكانت داره تجمع لفيفًا من الزملاء يتدارسون الأدب والشعر ، يسعهم بكرمه ولطفه . وقد أصبح منهم المشاهير .

قد قدروا فيك الثقافة والحجى
وشمائلاً عن طيب خُلُق تسفر
أسست " مكتبة الرفاعي " سمِّها
إن شئت أو باسم (الصغيرة) تُشهر
ملأت فراغًا بالذي قد أصدرت
كتبًا بأقلام البيان... تسطر
وكذا الصحافة ما بخلت بمدها
بروائع مرموقة.. لا تنكر
إني أذكركم بعهد شبابنا
عهد الدراسة فهو عمر مزهر [١]

---

(١) نشر الشاعر مع القصيدة صورة حفل تخرّجنا من المدرسة الإبتدائية.. وإلى ذلك يشير .

أيضًا بإخوان الزمالة من مضت
أيامنا غررا بيمن تثمر
(أحمد جمال) ورفقة نزهو بهم
(خراز) و(الدباغ) منهم نذكر [1]
أيام ندرس للعلوم بمعهد
عذب وصافي الورد لا يتكدر
وبه أساتذة كرام.. أنشأوا
جيلاً .. بهدي كتابنا نتبصر
هم صفوة ممتازة قد خلدوا
طيب المآثر بالمحامد تذكر

(١) أحمد جمال هو الآن الكاتب الإسلامي الكبير والخراز : هو الأستاذ سراج خراز يرحمه الله ، وهو شاعر . والدباغ هو زين العابدين الدباغ ، عمل في السلك الدبلوماسي ، وشغل منصب السفير في عدة دول مثل اليابان وهولندا وغيرهما .

إنّ الهوى بهواء مكّة يأسر

وتحيـة...إلى زميل الصبا ، وصديق العمر الأستاذ سراج عمر مفتي.. محاولة رد على قصيدته.. التي كانت شذى وفائه ، أما أصحاب الأسماء الواردة في هذه الأبيات فهم عداه : سراج خراز، وسراج عطار ، وأحمد محمد جمال ، وزين العابدين الدباغ.

غفت العيون فما لعينك تسهرُ

والليل نام.. فما لليلك سمّرُ

والصحب ما عاد الربيع يضمّهم

كالأمس والأزهار ليست تزهر

والبدر لَمْلَمَ ما تبقى من سنا

ومضى فقالوا : غاب بدر مقمر

وسـراجـنـا المـفـتـي أيـن سـراجـنـا
والمجـلـس المـأنـوس مـنـه (مـنـوّر)
ضمّ الـلـدات.. وكـان مـنـهـم فـتـيـة
عـشـقـوا من الـشـعـر الحـروفَ تـصـور
وسـراجـنـا الخـراز فـارس شـعـرنـا
بـيـت الـقـصـيـد إذا تـغـنّـى يـسـحـر
وسـراجـنـا الـعـطـار مـا زالـت لـه
تـلـك المـروءة والـوفـاء الأخـضـر
مـا أكـثـر (الأضـواء) تمـلأ سـوحـنـا
أترى وقد كثر (السراج) نكدر..؟

أما (الجمال) فكالورود نقيّة

أردانه.. بل كالورود معطّر

أخلاقه ، مما وعاه تلاوة

للذكر معمور اليقين مذكّر

عشق الكتابة والقريض يصوغه

فتراه ينظم تارة.. أو ينثر

سباق أمجاد ، وذلك دأبه

والصدق ديدنه ، يقول ويجهر

والزين (زين العابدين) موله

برسائل تغدو وأخرى تحضر

متأنق من يومه متفتح
نحو العلوم ، إلى بعيد ينظر
قد كنت أرجو أن أكون كمثلهم
لكنني وانى الخطى.. أتعثر
ونجاحهم عندي نجاح رعيلنا
يمضي فيحمل عبئه ، ويسطر
ما زلتُ يا مفتينا رغم المدى
لشريط أيام الصبا أتذكر
أيام كنت تعيرنا (شوقي) فنقـ
ـرأ شعره ، متأملين .. نقدر

أيام كنت تضيفنا في (مقعد)
قد ضاق لكن بالأحبة يكبر
والوالد الحانى يبث حنانه
أبناءه.. ما كان منا يضجر
الركب.. يحلم بالربيع وقد مضى
ومضى السراب به يروغ ويسخر
ظنّوا.. كما أني ظننت بأنه
لا عيش إلاّ بالرحيل فبكّروا

* * *

إن القليل بأرض مكة نعمة
ما بعدها، فدريتَ أنت -وما دروا

وظـلـلـتَ والخـراز بـل وجـمـالـنـا
جيـران بيـت الـلـه لـم تـتـغـيّروا

حفّت بكم بركات مكة فانـعموا
وتـفـيّأوا ظـل الحـطـيـم وكـبّروا

وإذا الأصيل دنا.. وجئـتم ساحة
حول المطاف ، فذكروا وتفكروا

قـلبـي يـطـوف فلا يـزال مـولّهـا
إن الـهـوى بـهـواء بمـكـة يـأسـر

* * *

الـصـورة الـتـذكـار عـهـد شـبـابـنـا
حـلـم نـعـبـره إذا مـا نـعـبـر [١]

(١) إشارة إلى الصورة التذكارية التي ضمّت بعض اللدات المتخرجين في الشهادة الابتدائية ومنهم الذين وردت الإشارة إليهم في القصيدة ومقدمتها .

أطياف أيام فهل بصر الكرى

بالعابرين به.. وهَلاَّ أبصروا

طويت صحائف بعضنا ألوى بها

طاو حثيث السير لا يتحيّر

* * *

قف يا زمان.. فقص من أخبارنا

أم قد تعبت فلا تقص وتخبر؟

سر يا زمان فإن دأبك أن تسيـــ

ـــر كما نسير ، وأن يطيع مسيَّر

يا شاعر الأغصان.. غصنك مورق (*)

كيف الرجوع لأرض مكة بعدما
شبت حمائم بالرياض وأنسرُ؟
وتعمّقت فيها الجذور وأينعت
فيها البراعم واستطاب المعشر
وغدت مسامرك التي جمعتها
يوم الخميس على الجرائد تنشر
أنت الألوف فلو رجعت إلى الصبا
لمشيت بين رسومه تتعثّر
فمدارج الأصحاب قد عصفت بها
أيدي المعاول تارة (ودركتر)

(*) هذه القصيدة شارك بها الأستاذ الشاعر الصديق محمد عبدالقادر فقيه بعد نشر القصيدتين السابقتين في جريدة (الندوة) .

وغدت معابر للمشاة وبعضها

نفقًا به صوت الرياح يزمجر

يهنيك أنك ما رأيت ولن ترى

مدنا على ظهر (الونائت) تبحر

* * *

يا شاعر الأغصان حسبك أن ترى

قلمي يهضب بالقريض ويهزر

أسنت روافده وشاخ فلم يعد

يقوى على جد الخطوب فيسخر

دب الخراف به وغاض بريقه

ومضى على سُنن الشيوخ يثرثر

مـاذا أقــول وفــي فـؤاديَ غـصـة

ومــواجــع ومــدامــع تــتــحــدر

أبكي على الجرح الطريف أم الذي

لما يـجـف وقـد طـوتـه الأعـصـر

* * *

يهنيك أنك ما رجعت فلم تذب

كمداً على حب يـشـيـح ويـهـجـر

لو عدت لن تلقى اللدات ولا الأولى

سمروا على صحن المطاف وكبّروا

(فالمجلس المأنوس) طار رفاقه

همد الـ (سراج) به وغـاب السمّر

قد كان يجمعهم إلى أنماطهم
حب تضيء به القلوب فتبصر
والحب زاد الحالمين من الصبا
وبه يدل على المقل المكثر
مَنْ كان يحسب أن يصير نديهم
ذكرى على بعض الخواطر تعبر

* * *

يا شاعر الأغصان غصنك مورق
وجداك نهل بالأطايب مثمر
بدأت براعمك الصغيرة [1] طفلة
تنمو على جدد الطريق وتكبر

---

(١) إشارة إلى المكتبة الصغيرة - ودار الرفاعي للنشر.

ثم انتهت والشرق بعض رفوفها
حملا ينوء به (الونيت) الحزور
يهنيك أنك قد وصلت ولم تَخُرْ
عبر الطريق وخار قبلك كُثر
ان الأولى حفوا بمجدك [1] وانتخوا
بالقول ينضح بالعبير ويهمر
قد كرّموا فيك الطريف وما دروا
أن التليد من الجواهر أكثر

مكة المكرمة
محمد عبدالقادر فقيه

---

(١) إشارة إلى حفلة التكريم التي أُقيمت بجدة.

يا شاعر الأزهار

حين نشرت قصيدتي التي أسمتها جريدة (الندوة) " إن الهوى بهواء مكة يأسر " ما كنت أتوقع لها ذلك الصدى الطيب الذي حظيت به ، وأملته عين الرضا لا غير.. وكان من صداها أخيراً قصيدة أخي الأستاذ الشاعر " محمد عبدالقادر فقيه " ، أحد أصدقاء الشباب، بل هو منهم في المقدمة ، وإن لم تجمعنا مقاعد الدراسة. وكان لحديقته الصغيرة الأنيقة في داره بالسليمانية تاريخ في ذكريات أدب الشباب من اللدات، وكان يُعنى في حديقته بالأزاهير ما وسعه إلى ذلك سبيل.. فكانت مرتادنا في العصاري والأُمسيات .

والأبيات التالية محاولة متواضعة لرد تحيته الشعرية:

يا شاعر الأزهار كنت أظنها
أبيات ذي وَلَهٍ تَعنٌّ فتعبرُ
ما كنت أحسب أن مسراها شذى
يسري على درب العبير مُعطّرُ
قلبي بمكة ما يزال مُعلّقًا
والقاطنون بها لديَّ المعشرُ
هم أحسنوا ظنًا بشعري لَيْتَهُمْ
عند الثناء عليه كانوا أقصروا
نظروا بعين ودادهم ، فقلوبهم
عن غير ما صنع الهوى لا تنظرُ

إنـي أُعـيـذك أن تـظـن كـمـثـلـهـم

سفـني على خوض الـقـريض سـتـجسرُ

مـا لـي ولـلـبـحـر العـمـيـق ، خِضَمُّهُ

مـن قـال إنـي فـي الخِضَمّ سـأبـحـرُ؟

بـعـث الحـنـينَ خيـوطُه مـنـسـوجـةً

مـن نـوره ذاك الـسـراج الأنـور

من عـمـق أعـمـاق الـسـنـين يـردّهـا

فـي لـوحـة لـلـحـالمين تُصـوّرُ

أنـا لـن أحـدّثـهـم فـتـلـك روائـع

قـلـمي عـلـى تـصـويـرها لا يـقـدرُ

ما يصنع الفنان؟ أيامُ الصِّبَا

حُلُمٌ فريدُ الصنع لا يتكررُ

من ذا يقلّد صنعةً جبارةً

قد صاغها الله البديع الأكبر؟

* * *

حدّثتني عمّا أحال شبابهم

(مَنْ ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر؟)

تمضي السنون إلى الأمام وكلما

تمضي السنون فإننا نتأخّر

أما العهود فلا تزال طرية

فيها الشباب يبش بل يتأطر

حَدِّثْتني يا مَنْ أعزّ صداقة

تنمو وإنْ هَرِمَ الزمان تُعَمّرُ

حدِّثْتنِي عَمَّا أصاب معاهدي

ومراح أيامي إذا هي تزهرُ

* * *

يا حبة العين التي يهفو لها

قلبي وعيني والحنين الأخضر

أم المدائن أنت سمّاك الذي

من بيته ظهر النبي الأطهر

لا ضَيْرَ إن صَنَعُوا لمجــدك تَالــيًا

يــا حــبــذا ان جــدّدوا أو طــوّروا

حَدَّثْتَنِي فَأَثَرْتَنِي ، لــكــنــنــي

رغــم الإثــارة عــن مــداك مــقــصّر

الأندلس في ١٤٠٤/٧/٩ هـ

إلى الأستاذ الشيخ عبد الله بن خميس

هذه الأبيات نظمت حينما كان سعادته مسؤولاً عن المياه في مدينة الرياض ، وانقطع الماء عن داري :

حينما يظمأ الخميس فبشـــــ
ـــره بفيض الحيا أو ابن خميس
فلـه منـهلان : منـهل عِلْم
وبديع من القريض النفيس
وهو في منهل المياه رئيس
أريحي أنعم به من رئيس

٢٧/١/١٣٨٧ هـ

قَطرة

مهداة للشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن فقي

نهلتَ فكان البحر مصدرك الهامي
فهل لي منك اليوم مصدرُ إلهام؟
ولست أجاري البحر ما دمتَ ندَّه
وتمتازُ - رغم العمق- بالمنبرِ السامي
ولكنني ، قد جئت أطلب.. قطرة
من الشاعر المغداق من بحره الطامي
سأرجعها رَفَّافَة حبةَ الندى
لتلثمَ خَدَّ الوردِ، أو ثَغْره الظَّامي

سأجعلها للنَّحلِ وردةَ سوسنٍ

لترجعه في الشَّهْدِ ، بلسمَ أسقام

سأرسلها.. يا نسمةَ العطر رفرفي

أليس رسولُ الحُبِّ ، رفرف أنسام؟

أبلورها ، في جيد بيضاء - درة

على درة.. من منهما الصائدُ الرامي؟

وأنت مَعينُ الدر ، لؤلؤه الذي

يباكرنا كالفجر ، كالزهر النامي

أرقرقها في جفن حوراء دمعة

تألقُ في بشرى لقاء ، وتهيام

* * *

ولا غَرْوَ.. إن الدمع عذب محبب

إلـيْهِنَّ ، إذْ يـلـقْيِنَ فـارس أحـلامِ

وأسحبها من نغمة الطير هَزْجةً

مرنحة، قد تُسكرُ الطيرَ أنغامي

وأجمع من هذي وتلك هديةً

من الود أزجيها تحيةَ إكرام

أيا شاعر الوجدان ، شعرك غابة

من الورد لا تنفك تزهو بأكمام

ولكن رأيتُ الوردَ يَشرقُ بالندى

وتعلو ضياءَ الفجرِ كدرةُ إظلام

أرى نغمة الأحزان فيه شجية
ومِنْ خلفها ، تحدو بها نفس لَوّام

كفى يا جراح القلب، كُفِّي وارْفقي
فإنك جُزْتِ الحدِّ فيضًا بآلام

رأيت الليالي عادة تدمل الجوى
فما لك لا تشفيك كرّةُ أعوام

* * *

حنانيْكَ لا يقوى على الشعر خاطري
ولا عذر ، هذا اليوم غرة أيامي

أرى فيه ركب الشعر مزدحمَ السّرى
يمر على مضماره، كلُّ مقدام

مشيتُ به، لا خيلَ عندي ألزها
ولكنْ شفيعي يوم عرسكِ إسهامي

وهذا الزكيّ (*) اليوم يجمع ورده
ليُضْفِرَهُ كالدر، في مفرق إلهام

يكرم فيك الشعر والنثر قمة
يقصر عن أمدائها شوطُ إلهامي

الرياض ١٤٠٤/٨/١ هـ

(*) المقصود بالزكي معالي الأستاذ أحمد زكي يماني الذي أقام حفل تكريم للشاعر الكبير ، جاءت هذه الأبيات من وحيه.

تحيّة

هذه الأبيات العجلى ، تحية لشاعر الخميسية الأستاذ (أحمد سالم باعطب) الذي غادر الرياض إلى جدة بعد عشر سنوات من العطاء المتصل ، أمتعنا فيها بالكثير من شعره الفائق ، وترك أرجه عطراً لا ينفد شذاه :

الينابيع - شعره - ما تغيضُ
يتزاحمن تالدٌ ، وغريضُ
والمعاني روافد تتبارىٰ
في يديه ، فيستجيب القريضُ
فإذا رامها فجدٌّ رفيعٌ
وإذا سامها فلهوٌ غضيضُ

هو في حالتيه ما حلّق النســـــ

ـــســـرُ وأجواؤُه الفضاء العريضُ

وهو في شعره الحديث صحيحٌ

لا كمن شعره الحديثُ مريضُ

وأرومـــاتُه الأصـــالـــة والـــد

يـن ، فلا مذهبٌ لديه بغيضُ

وإذا صاحبَ الخليلَ فخلٌّ

يصطفيه ، فيستقيم العروضُ

القوافي ـ حتى الأبِيّات منها ـ

طيّعاتٌ ، جناحهنّ خفيضُ

يـنـتـقـي ذوقُه الـرفـيـعُ الـلآلـي
فـإذا هـنّ بـهـجـة ومـيـضُ
خاض ما خاض في خضمّ المعاني
وجلاها ، فما عراها غموضُ

* * *

فـارس أنـت والجـواد أصـيـل
فامضِ ما شئتَ فالمدى مستفيضُ
وتـرنم فـإن شـدوك لحـنٌ
يـتـشـهـاه ، مـعـبـدٌ والـغـريـضُ
إن تكن في (الرياض) فـ(الثغر) يشدو
مستعيداً ولم أقل يستعيضُ

وليا ليك مشرقات على (الثغـ

ـر) ، كما هنّ في الرياض البيضُ

وكما تغرس القريض غناء

تغرس الود ، نبعُه لا يغيضُ

٣/٥/١٤٠٩ هـ

عزاء

حينما توفيت والدتي ـ يرحمها الله ـ تفضل الأستاذ العلامة الشيخ عبدالله المحفوظ بية بتعزيتي بهذه الأبيات :

ألا لـلــه مـا أخـذ المـنـونُ
ومـن يـبـقـى بـأحـبـلـهـا رهـينُ
نـعـزّيـكـم ونـعـلـم أن حـيًا
مـفـارقـه الـفـؤاد ، بـه حـزيـنُ
بـأمـكـم الـكـريـمـة حـين بـانـت
يـشـيـعـهـا الـثـنـاء ولا يـبـينُ
لـكـم أجـر وذخـر إذ صـبـرتـم
لـهـا الـفـردوس مـنـزلـه قـطـينُ

رجـاء فـي الإلـه مـا تـولـى

رجـاء بـالإلـه لـه قـريـنُ

***

فقلت أجيبه وأحييه :

شكرت ، وكيف لي الشكر المبينُ

عـزاءك إذ تـرحَّلـتِ الحـنـونُ

رجـوت لـهـا الـبـقـاء وذاك ظـن

وكـم لـعـبـتْ بـآمـالـي الـظـنـونُ

وقد صبر الـيقـينُ ، فصان دمعي

وفـي أعـمـاقـه يـبـكـي الـيـقـينُ

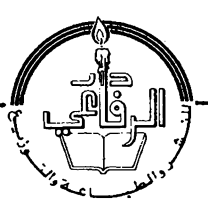
فقدت لفقدها صدرا معينا

ألــوذ بـــه ، إذا عـــزّ المـــعـــين

شكرتُ ..وقد دعوتُ:فدم سليما

وحــولــك من تحــب ومــن تـصـون

الفهرس



السلسلة الشعرية

صدر منها

في عيون الليل	محمود عارف
ويسألني	عبدالرحمن رفيع
من رباعياتي	محمد سعيد العامودي
الموانىء التي أبحرت	أنس عثمان
رباعيات مختارة	إلياس قنصل
قلب على الرصيف	أحمد سالم باعطب
مكتبي قبلتي	أحمد قنديل

أما الديوان القادم فهو :

أشواك .. خماسيات من المهجر

للشاعر المهجري زكي قنصل



للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب : ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس : ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية

ظلال والأغصان

حينما أزمعت أن أكتب هذا التعريف بهذه الإضمامة الشعرية . . سألت نفسي هل هذا (الشيء) الذي كتبته عبر عمري . . منذ صباي الباكر حتى الآن، هل هذا (الشيء) يصح أن أسمّيه شعراً حقاً؟ . .

لن أتواضع فأقول: إنه ليس شعراً . . ولن أدّعي - أيضاً - أنه شعر . . ولكنه عمري . . ! يكفي أن أقول هذا بإيجاز حاسم . .

إنه تلك اللحظات التهويمية التي حاولت فيها أن أخلو مع مشاعري . . وأن أنطلق من ربقة أيامي الغليظة إلى شيء من شفافية غامضة . .

وكان من الطبيعي أن تأتي الأغصان أولاً ، ثم تزحف الظلال . . ولكن أبتّ صرامة في الطبع إلّا أن تحجب الأغصان، وتسمح للظلال، ويوشك أن يكون في الأمر شيء كالمستحيل. ولكن هكذا كان . . !

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع